وأسند فعل (إن كنتم غير مدينين) إلى المخاطبين بضمير المخاطبين دون أن يقول : إن كان الناس غير مدينين لأن المخاطبين هم الذين لأجل إنكارهم البعث سيق هذا الكلام .

والمعنى : لو كنتم أنتم وكان الناس غير مدينين لما أخرجت الأرواح من الأجساد إذ لا فائدة تحصل من تفريق ذينك الإلفين لولا غرض سام وهو وضع كل روح فيما يليق بها من عالم الخلود جزاء على الأعمال ولذلك أوثر لفظ (غير مدينين) دون أن يقال : غير مبعوثين أو غير معادين وإن كان لا يلزم من نفي الإدانة نفي البعث فإنه يجوز أن يكون بعث بلا جزاء لكن ذلك لا يدعى لأنه عبث .

فقوله (أن كنتم غير مدينين) إيماء إلى أن الغرض من سوق هذا الدليل إبطال إنكارهم البعث الذي هو لحكمة الجزاء .

ومن مستتبعات هذا الكلام أن يفيد الإيماء إلى حكمة الموت بالنسبة للإنسان لأنه لتخليص الأرواح من هذه الحياة الزائلة المملوءة باطلا إلى الحياة الأبدية الحق التي تجري فيها أحوال الأرواح على ما يناسب سلوكها في الحياة الدنيا كما أشار إليه قوله تعالى (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون) فيقتضي أنه لولا أنكم مدينون لما انتزعنا الأرواح من أجسادها بعد أن جعلناها فيها ولأبقيناها لأن الروح الإنساني ليس كالروح الحيواني فتكون الآية مشتملة على دليلين : أحدهما بحاق التركيب والآخر بمستتبعاته التي أومأ إليها قوله (إن كنتم غير مدينين) . والغرض الأول هو الذي ذيل بقوله (إن كنتم صادقين) .

هذا تفسير الآية الذي يحيط بأوفر معانيها دلالة واقتضاء ومستتبعات . وجعل في الكشاف مهيع الآية يصب إلى إبطال ما يعتقده الدهريون أي الذين يقولون " نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر " لأنهم نفوا أن يكونوا عبادا . وجعل معنى (مدينين) مملوكين وبذلك فسره الفراء وقال ابن عطية : إنه صح ما يقال في معنى اللفظة هنا ومن عبر بمجازي أو بمحاسب فلذلك هنا قلق . وقلت : في كلامه نظر ظاهر .

وجعل الزمخشري تفريعه على ما حكي من كلامهم السابق مبنيا على أن ما حكي من كلامهم في الأنواء والتكذيب يفضي إلى مذهب التعطيل فاستدل عليهم بدليل يقتضي وجود الخالق وهو كله ناء عن مهيع الآية لأن الدهرية لا ينتحلها جميع العرب بل هي نحلة طوائف قليلة منهم وناء عن متعارف ألفاظها وعن ترتيب استدلالها .

فأما إن كان من المقربين [88] فروح وريحان وجنات نعيم [89] وأما إن كان من أصحاب

اليمين [90] فسلام لك من أصحاب اليمين [91] وأما إن كان من المكذبين الضالين [92] فنزل من حميم [93] وتصلية جحيم [94]) لما اقتضى الكلام بحذافره أن الإنسان صاحب الروح صائر إلى الجزاء فرع عليه إجمال أحوال الجزاء في مراتب الناس إجمالا لما سبق تفصيله بقوله (وكنتم أزواجا ثلاثة) إلى قوله (لا بارد ولا كريم) ليكون هذا فذلكة للسورة وردا لعجزها على صدرها .

فضمير (إن كان) عائد إلى ما عاد إليه ضمير (إليه) من قوله (ونحن أقرب إليه منكم) .

والمقربون هم السابقون الذين تقدم ذكرهم في قوله تعالى (والسابقون السابقون أولئك المقربون) وأصحاب اليمين قد تقدم . والمكذبون الضالون : هم أصحاب الشمال المتقدم ذكرهم .

وقد ذكر لكل صنف من هؤلاء جزاء لم يذكر له فيما تقدم ليضم إلى ما أعد له فيما تقدم على طريقة القرآن في توزيع القصة .

والروح : بفتح الراء في قراءة الجمهور وهو الراحة أي فروح له أي هو في راحة ونعيم وتقدم في قوله (ولا تيأسوا من روح ا) في سورة يوسف . وقرأه رويس عن يعقوب بضم الراء . ورويت هذه القراءة عن عائشة عن النبي A عند أبي داود والترمذي والنسائي أي أن رسول ا A روي عنه الوجهات فالمشهور روي متواترا والآخر روي متواتر وبالآحاد وكلاهما مراد .

ومعنى الآية على قراءة ضم الراء : أن روحه معها الريحان وهو الطيب وجنة النعيم . وقد ورد في حديث آخر : " أن روح المؤمن تخرج طيبة " . وقيل : أطلق الروح بضم الراء على الرحمة لأن من كان في رحمة ا فهو الحي حقا فهو ذو روح أما من كان في العذاب فحياته أقل من الموت فقال تعالى (لا يموت فيها ولا يحيي) أي لأنه يتمنى الموت فلا يجده .

A E